مُناقشات

حول مسرحية « طلب زواج »

تعليقاً على ترجمتي لمسرحية تشيخوف « طلب زواج » التي نشرت في عدد سابق من « الآداب »، تساءل الدكتور كمال اليازجي في باب «قرأت العدد الماضي » عن الغاية من ترجمة هذه المسرحية ، فقال «اذا كان الغرض اعطاء صورة عن الأدب الروسي ، فنحن لا نعلم مدى أمانة الذي نقلها من الروسية الى الفرنسية ، وهل هذه التعابير الغريبة روسية ام فرنسية . واذا كانت الغاية خدمة المسرح العربي، فهي بحاجة قصوى الى تعديل يسمها بالطابع العربي، ويضفي عليها ظلاً من اللون المحلي . »

وقبل ان ادلي برأيي في الموضوع ، لا بد لي من ان أتساءل عن معنى قول الناقد الكريم : « نحن لا نعلم مدى أمانة الذي نقلها من الروسية الى الفرنسية ... » أتراه يعني شيئاً آخر غير الإلحاح على ضرورة الامانة في النقل ؟ فاذا كان الأمر كذلك ، فكيف يبدأ الناقد تعليقه بأن يأخذ عليّ « فرط الأمانة في النقل » ؟ أليس في هذا تناقض ظاهر ؟

ولنعد الى صميم المشكلة . فان الدكتور اليازجي هو – على ما اعلم – اول من يؤاخذ ناقلاً على « فرط الامانة في النقل » ! اما تبريره ذلك فهو ان « المحاورة في المسرحيات تستعير كثيراً من اخلاق الناس ولهجاتهم المحلية ومصطلحاتهم الخاصة ، ولذلك لا يمكن ترجمة المسرحية ترجمة حرفية ، ولا سيما بين لغتين تتفاوت عادات المتكلمين بها . » ولهذا الكلام طرفان، اقرّ الاستاذ على اولهما ، وهو ان المحاورة تستعير كثيراً من اخلاق الناس ولهجاتهم المحلية ومصطلحاتهم الخاصة ، ولكنني لا ارى علاقة سببية بين هذا الطرف ، وبين قوله : « ولذلك لا يمكن ترجمة المسرحية ترجمة حرفية . » فالقضية في الطرف الاول قضية وضع وتأليف ، وهي في الثاني قضية نقل وترجمة . وانا لم أفعل الا ان انقل ، والأصل عند الناقل ان يكون امينا الى أبعد حدود الامانة ، وان يحاول نقل الاصل بشكله ومعناه وجوّه . وطبيعيّ ان غايته الاولى في ذلك ان يعطي صورة عن ادب الاصل المنقول عنه . وقد كان هذا قصدي الرئيسي ، ثم اني قصدت الى امر آخر هو الحثّ على التأليف المسرحي في ادبنا ، فلا ريب في ان ادبنا المسرحي فقير جداً ، وان نقل بعض الروائع العالمية اليه يعود عليه بفائدة كبيرة ، من حيث انه يشجع الادباء على معالجة الادب المسرحي ، مفيدين من تجارب ادباء الغرب.

وإذن، فليس قصدي، اذ انقل هذه المسرحية وسواها من روائع المسرح العالمي، ان ادعو الى تمثيلها على مسارحنا، وإن كان تمثيلها امراً غير ممتنع. واحسب ان الناقد الكريم يخلط بين النقل وبين ما يسمونه بالفرنسية والانكليزية Adaptation وهذا اي «تكييف»، الامر الثاني انما هو من شأن المخرج الذي يستطيع ان يحور ويعدل كما يشاء، او كما يقتضي ذوق الجمهور المشاهد. وعلى هذا فليس يحق للناقل إطلاقاً ان يحور في الاصل فيقول « ليذهب للقرد » بدلاً من « ليذهب مع الشيطان » بدعوى ان قومه معتادون القرود لا الشياطين ! ولكن أصحيح اننا لا نقول « ليذهب مع الشيطان!» إن هذه العبارة فصيحة ، ونحن نستطيع ان نقول كل ما يحلو لنا بالفصحى ، فليست هناك مصطلحات و « كليشيهات » . والذي اعرفه على كل حال اننا لا نقول بالفصحى « ليذهب للقرد » كما اننا لا نقول يا « تقبريني » على حد زعم الدكتور اليازجي . فأنما يقال ذلك بالعامية ، ونحن لا نكتب الحوار هنا بالعامية . ثم هل من الصحيح اننا نقول بالعامية «ياسيدتي » بدلاً من « يا فلانة المحترمة » ؟ احسب انه لا مجال للتردد في القول بان الناقد يتخبط هنا ايضاً تخبطاً ظاهراً ... ثم انني اتساءل، ما دام الدكتور اليازجي يطالبنا بتعديل المسرحية تعديلاً يسمها بالطابع العربي ، لماذا لم يخطئنا بنقل اسماء ابطال المسرحية كما هم ؟ ان التعديل يقتضينا دون شك ان نستبدل باسماء ابطالها اسماء عربية فنضع مثلا اسم « سمعان المستكاوي » بدلاً من « ستيبان ستيبانوفتش تشوبوكوف » ... واسم « تماضر الحلبوني » بدلاً من « ناتاليا ستيبانوفنا » ... لقد اكتفى الناقد بالاشارة الى اننا لا نخاطب الآنسة بقولنا « يا جميلي » بل « يا عيوني » ، « يا تقبريني » ! فليتصور القاريء ستيبان ستيبانوفيتش تشوبوكوف يقول لناتاليا ستيبانوفنا : « انني احبك، يا تقبريني ! »...

ومما يثير الاستغراب والدهشة ، الى ذلك كله ، قول الدكتور اليازجي استشهاداً بما نقوله عندنا وما لا نقوله : « نحن لا نفهم « وهلم جراً » في كل مناسبة ، ولا نردف « واشياء اخرى » بكل حديث . ولا شك عندنا في ان هذا الاعتراض يدل على ان روح النكتة قد فاتت الناقد ... فهذه عبارات يقصد بها تشيخوف الى اضحاك القاريء ، وكثيرة هي النماذج البشرية التي ترتكز في كلامها على « لازمة » او « محطة » معينة من مثل « تقريباً » و « فاهم ؟ » وسوى ذلك .. ولعل كثيرين عند ناقد لاحظوا ان صديقنا الشيخ عبدالله العلايلي قلما ينهي عبارة من عباراته من غير ان يردفها بقوله : « كذا الى آخره ... » وهذا لا يختلف بشيء عن لازمة تشوبوكوف « وهلم جراً » و « أشياء اخرى » ...

هذه هي ملاحظاتي على مآخذ الدكتور كمال اليازجي حول ترجمة مسرحية تشيخوف . واظن انها كلها مآخذ جانبية فيها رغبة للفرار من تأدية وظيفة النقد الحقيقية . وارى ان هذه الوظيفة تتلخص هنا بالحكم على المسرحية من حيث قيمتها الادبية اولاً ، وقيمتها الاجتماعية ثانياً ، ثم الحكم على الترجمة ، من حيث مطابقتها للأصل (أو للأصلين الفرنسي والروسي) . الواقع ان الدكتور اليازجي أخذ علينا « فرط الامانة في النقل »، فكيف تسنى له ان يحكم هذا الحكم وهو باعترافه لم يرجع الى الاصل الفرنسي ولا الى الاصل الروسي ؟ وقد كان عليه ، كعالم وناقد، ان يرجع الى الاصلين أو الى أحدهما . فاذا قيل إنه لا يعرف الفرنسية ولا الروسية ، أجبنا بأنه كان أجدر به إذن أن يعتصم بالصمت بدلاً من ان يتساءل عن « مدى أمانة الذي نقلها من الروسية إلى الفرنسية » .

لقد رأى الاستاذ الناقد ان عليه ان يقول شيئاً بشأن هذه المسرحية ، فأهمل الحديث عن قيمتها الادبية والاجتماعية، وهذه هي مهمة النقد الاساسية، وتحدث عن اشياء ثانوية اخطأه التوفيق فيها كلها.

وبعد، فلعلّ القاريء يتساءل عن سبب هذه القسوة في الردّ على الدكتور كمال اليازجي ... والجواب على ذلك : ألم يبدأ هو كلمته بقوله : « واني لأجد نفسي مضطراً لان اكون اعنف بحق مسرحية « طلب زواج » ، مع انه ليس ثمة ما يبرّر هذا العنف إطلاقاً ، كما قد يرى القاريء الكريم من مناقشة آرائه .

وتحية ود الى الدكتور اليازجي .

سهيل ادريس

★

حول « ضحكات القدر »

حضرة الاستاذ صادق صعب

تحية اخوية ومودة صادقة وشكراً اطيب الشكر أبعث بها اليك على تفضلك بالكتابة عن قصتي « ضحكات القدر » وعنايتك بابراز ما فيها من عيوب ومزايا مع إنهاض الدليل على تلك العيوب الفنية والمزايا الادبية

واشكرك مرة ثانية على منة أحفظها لك لاشادتك بأدبي إشادة يسعدني سماعها من ناقد مثلك ، لم أتشرف بمعرفته من قبل ،وقد استطعت ان تتجرد عن شهوات اكثر النقاد المعاصرين

اتمنى ايها « الصادق » أن تتقبل صداقتي ومودتي وارجو أن تسمح لي بالوقوف منك حيال مآخذجاءت في سياق كلامك في صيغةالسؤال أو التساؤل لأجيب عنها .

١) قلت: واعطى القارىء صورة حية لناحية من المجتمع المصري مستوفية عنصر التوجيه ، دون ان يخرج ، مع هذا ، عن اسلوب القصة الى اسلوب الوعظ والمقالة، فما باله لا يلبث ان يجعل من والد «صفاء» واعظاً يرقى المنبر ويصيح : « ايها الناس ! ... » ؟!

ج) صحيح اني التزمت الاسلوب الطبيعي ،البعيدعن التكلف في الكلام عن نفس تنطلق على سجيتها ،وتعمدت حديث منبر الواعظ حين تكلم والد « صفاء » وهو شيخ عاصر الاضطرابات الفكرية ، والنزعات الوطنية ، منذ زمن مصطفى كامل ومحمد فريد، ومقتل بطرس غالي وثورة سعد زغلول،واشترك مع الذين ناهضوا الاحتلال وقاتلوا من والى المستعمرين ، ثم حضر حادث احتراق القاهرة وشاهد النيران تلتهم الدور والمتاجر ، أليس من الطبيعي ان يحدث هذا الشيخ صهره حديثاً من صميم الحياة الاجتماعية المصرية بأسلوب الخطباء ؟

٢) حين سافر بطل القصة وعروسه لقضاء شهر العسل كيف ظلا يجهلان حدوث الانقلاب المصري وخلع فاروق حتى وردتهما رسالة بالنبأ من والد صفاء ؟!

ج) افتح الصحفة ١٥٦ تجد ما يلي:

صهري العزيز

سمعت ولا شك من المذياع خبر تنازل الملك فاروق بل إرغامه على التنازل عن الملك وذلك في اليوم السادس والعشرين من شهر يوليو (تموز) سنه ١٩٥٢ .

٣) والغريب أن شخصية « صفاء » تبدو واضحة جلية المعالم مع خطيبها الاول ، ولكنها لا تلبث ان تنطمس وتضؤل معالمها وهي مع الثاني في حياتها الجديدة .

ج) لا غرابة في موقف « صفاء » في الحالتين ، وقفت من خطيبها الاول مرحة فرحة بشاب فيه وسامة وقدرة على الكدح والربح ، أعطاها قلبه وكل ما كان ادخره من مال . وفارقها الى الابد بحكم القدر قبل ان يهنأ بحبها . لقد إخذت منه كل شيء ولم تعطه شيئاً ، ووقفت من خطيبها الثاني وقد ناهزت الثلاثين وقفة سايرت فيها عقلها ووعيها وادراكها ،وقد نحّت قلبها جانباً وكذلك خالجات روحها وشبوب صباها استجابة منها لداعي ضرورة اقتران حياة أنثى بذكر .

٤)ان سياق القصة كان يقتضي ،بصورة طبيعية الاستطراد الى وصف حياة الريف وما يعانيه من بؤس وشقاء ... في حين لا يغفل عن وصف الطبيعة ومفاتنها في « اسوان » باسهاب وحماسة ليس فيه جديد ، فما باله يغفل عن ملاحظة الشقاء والبؤس ؟

ج) ليس الزهو من طبيعتي ، ولا التحدث فيما يقوله الادباء في انتاجي الادبي ، ولكن احراج الناقد الفاضل يدعوني الى المفاخرة والمباهاة بتلك القطعة التي كتبتها في وصف « اسوان » (انظر صفحة ٨٠ – ٨٣) است ادعي اني أضفت الى الطبيعة بذلك الوصف لوناً جديداً فاتناً الى ألوانها الساحرة ولكني اقول بتواضع اني « استلفت نظر الغافلين الى طيبات الحياة ، واسترعاء انتباه الذاهلين عن مفاتنها » (١ .

أجل ، لم اصف البؤس والشقاء في الريف، لاني مهما اوتيت من الابداع الفني في وصف الشقاء والبؤس فقصوري سيكون بادياً ولكني استبدلت الوصف الواقعي بالاشارة الى حياة الإجير تارة والايماء الى سكان قرية « مخافة » « لا شيء يفرح الاجير والعامل الكادح غير المال ، لا الطعام ولا الكساء ولا الشراب تساوي القرش الذي تنقده اياه لينفقه في اسعاد ولده او من يحب من الناس » « ثلاثون اسرة هي مجموعة سكان الضيعة برجالها ونسائها واولادها اشتركت معنا بفرح يماثل فرحنا، وددت ان أقوم بنفسي وتقوم عروسي معي على خدمة فلاحي الضيعة وهم يتزاحمون على الطعام الذي يغذي ابدانهم ويشبع معدهم التي اعتادت القوت الكفاف (٢ . أليس هذا النوع من وصف ما تحتاج اليه النفس خيراً من وصف الحاجة نفسها ؟

٥) شخصيات « صفاء » ووالدها وزوجها الثاني ضئيلة المعالم مع انها ابرز شخصيات القصة.

ج) الف الناقد بنوع خاص الاتجاه صوب بطل القصة ، كما اعتاد المؤلف توجيه الانوار الساطعة على البطل وحده ، كذلك الف الناقد واعتاد تلخيص القصة من وقائع ادوار البطل او الابطال ، ولكني تعمدت الخروج على هذا الاعتياد والالفة بتحويل الانوار الساطعة قليلاً عن البطل وتوجيهها خفيفة مريحة صوب من يماشون البطل في ادوار القصة. لقصتي « ضحكات القدر » ثلاثة ابطال هم الدكتور وزوجته ووالدها ، وقد جعلت كل واحد منهم يقوم باداء دوره في « زمن » فاروق الملك المطرود . فلولا حكم الزمن لما كان للقصة معنى سوى هروب من حياة فاسقة فاجرة والاذ بحياة زوجية مقدسة ، وسوى قناعة الزوجة بالامر الواقع ونسيان الماضي ، وسوى رضا الأب وفرحه بزواج ابنته وقد اشرفت على الثلاثين ،ولكن حكم الزمن في عصر فاروق الفاسق ، وبطانته الشريرة ، ووزرائه اللصوص ، جعل الدكتور استاذ الاثار ينزلق مع الفجار يتخذ سبلا ملتوية مثلهم للوصول الى مثل ما وصلوا اليه ، وجعل الفتاة الجامعية تنفر من الوسط الجامعي الملوث بادران الحكام لتعود الى حصنها الشريف وخدرها الطاهر في الريف تحت كنف والدها الموظف النزيه المتقاعد ، وجعل والدها تتيقظ فيه روح الوطنية وقد خبت من اليأس من صلاح الحاكم ومن استكانة المحكوم .

ويحكم الزمن ايضاً في عصر فاروق أن احترقت القاهرة وأخذ الناس يتساءلون عن اليد او الايادي الاثيمة التي امتدت الى العاصمة ، واخذ الهمس يتعالى ويدوي ، ومن طبيعة الهمس أن يبدو في الاوساط اليقظة ، ويدوي في الاوساط الجامعية ... وقد قامت قومة الرجال العسكريين فخلعوا الملك وطردوه واعانوا الثورة بمبادئها، وقد ظاهرهم الشعب وساندهم ومشى معهم .

---

(١) مقدمة القصة .

(٢) صفحة ١٠٠ الى صفحة ١٠٦ من القصة.

هذه الموجبات الزمنية ألهمتني إمكانية تطعيم فن القصة بطعم جديد، فأدخلت في قصتي رجالا ليسوا من الابطال في الموضوع ، بل جعلتهم « حملة مفاتيح» فتحوا لنا ابواب قصور فاروق ، ودلونا على طرائفه في الحكم . ثم دفعت بهم الى الوقوف امام المحقق كانهم افراد عصابة من اللصوص، ينكر الواحد جريمته ويعترف بها الثاني ، ويشي الاول بالآخر ويفتضح امرهم جميعاً

لقد اخذ المحقق – مؤلف القصة – بتلابيب اولئك الاشرار وهم من علماء الدين وعلماء التاريخ ، والادباء ، واساتذة الجامعة، وقادة الفكر والنواب، أقول لهم ما قالوه كذبا في تمجيد فاروق ، واعلن ما أعلنوه على الملأ من زور وبهتان في خلائق فاروق واقتبس من خطبهم نتفاً تدل على انهم هم الذين نحتوا من فاروق الغلام صنماً ما لبثوا ان سجدوا له وعبدوه ودعوا الناس الى عبادته

لذلك جعلت للقصة اكثر من غاية واحدة الاولى تمجيد الفتاة الجامعية وقد ادركت بغريزتها ما لم يدركه اساتذة الجامعة بحصافتهم فعادت الى موئلها لتحيا حياة كريمة شريفة ممجدة محبوبة معبودة في بيتها لتكون زوجة وربة بيت واماً عزها في بيتها اي في تحقيق غايتها في الوجود

وجعلت من اولئك « الكومبرس » اشباه الرجال وقد وجهت عليهم ضوءاً خفيفاً يظهرهم للناس كيف يدبون في الحياة دبأ وانهم خليقون بان ينالوا قسطهم من أجر على جرم اجترموه

وبذلك أيضاً أدخلت ، ولا اقول اقحمت ، الرجال الاحياء في فن القصة العربية المستمدة من واقع الحياة ، ومن أحداثها على أنواعها، لان «ميدان القصة رحب يتسع للحياة بكل فيها ومن فيها »

القاهرة **حبيب الزحلاوي**

★

احرقوا هذا الوتر!

[رد على دراسة الاستاذ توفيق حنا عن الشعب المصري]

الحدود في قلب البلاد العربية خناجر تدمي قلوبنا ، خطوط قبيحة في وجوهنا ، جعلتنا أشلاء . انها كملك الجن الاسود ، يسيء رغم انه وهم ، إلى ملايين الناس في بلادي. انها وهم، سراب قبيح رسمته أياد غريبة شيطانية وهم ، قالوا : بل هو حقيقة فتعصبوا لها . فقلنا نعم والله حقيقة فتعصبنا – ويا لحماقتنا – لها . وراح شاعر من لبنان يمجد لبنان . وصرخ « زعيم » حزب في سوريا : عاشت سوريا ، وهتف رئيس جمهورية بلد شقيق في وجه طلاب عرب يدرسون في بلده : سوريا فوق الجميع، ووقع باسمه النبيل تحت هذه الجملة الزائفة من القول الزائف . ثم ها هو توفيق حنا يرسم دراسة تخطيطية عن الشعب المصري .

من هو الشعب المصري؟

لقد تعشقت ، منذ أن وعيت نور الفكر ، الدراسات التحليلية التي تدور حول الأمم ، حول بعض أنماط من المجتمعات . ورغم لا أخلاقية نيتشه فانني أحببت تميزه بين صفات السادة وصفات العبيد . وسحرني روزنبرغ ، فيلسوف الدعوة الجرمانية ، بتبيانه بعمق وأصالة مميزات الرجل الشمالي ذي الشعر الاشقر والعينين الزرقاوين . وما زلت أتلفظ نشوة كلما تذكرت آراء هيجل عن الروح اليونانية . وانتظرت بشوق تحليلات توفيق حنا عن الشعب المصري . ولم لا ؟ ونحن نثق بالناشئين من شبابنا . ولم لا؟ ونحن ننتظر المعجزة ، ننتظر البطل الذي يتخلص بنبل من إسار التقاليد والاغشية السوداء فيرسم لنا خطاً عريضاً مكيناً نجد فيه أساساً للفلسفة الجديدة التي سنبنى عليها نهضتنا المقبلة . وحاولت باخلاص، وأنا اقرأ دراسة الاستاذ توفيق ، أن اجد اللذة التي حدثتكم عنها ، أن أعيش النشوة التي أبحث عنها في الدراسات التحليلية ، فاذا وجدت ؟

وجدت لا شيء ، أو وجدت – حسب تعبير توفيق حنا نفسه – ورقة صفراء من الأوراق التي تملأ الطرقات في الخريف . لقد أخفق الكاتب « علمياً » فهو في دراسته لم يعش حقيقة الشعب العربي في مصر بل عاش قشوره وأصباغه ، عاش دراسة أجنبية عنه ، دراسات بعضها فارغ وبعضها مدسوس ، ويكفيها شؤماً أن تكون أجنبية غريبة . والا فأين خط الانفجار العنيف المحرق الكامن تحت هذا الرماد المستكين الهاني الذي رسمه لنا الكاتب ؟ أم انه لن يوافقني على أن عند المواطنين العرب في مصر، عنفاً أحمر وثورة شاملة ستهدم الهرم ذات يوم ، وانه ليوم سيكون قريباً ؟ او ربما الح على رأيه بأن « الشعب المصري يعشق السلام لان السلام أصبح لديه أداة تعجب : يا سلام !!! » . وهو – أي توفيق – في كلا الحالين سيؤيد رأينا في أنه بدراسته الشعب المصري كان بعيداً عن الشعب المصري بل كان غريباً . ومثل هذه الدراسة العلمائية لا تحتاج الى المطالعة في الكتب وتنميق آراء الآخرين بقدر ما تحتاج الى الانغماس في الجمهور ، إلى جولات تأمل داخل الممرات الداكنة العفنة ، إلى تحسس حفلة من حفلات التهرب من الواقع المؤلم بين يدي حفنة من الحشيش والأفيون تحت قبو عتيق ، إلى مشاركة لأحلام فلاح مشوه الخلقة يسير وراء حماره في طريق السوق ، إلى تمثل لحقد الكناس في الشارع ، وهو يجمع الأوساخ بمكنسته الخاوية تحت جنح الليل ، يحقد بعنف وإباء على جنود ملعونين اجانب يقتلون ابناء بلده متى شاءوا ، إلى قلب شفاف يلتقط ارتجافات قلوب أناس في مصر مؤمنين بالمغرب العربي وفلسطين العربية .

ثم انه اخفق اصطناعياً . فان كلمتي « هرم » و « النيل » حشرتا في الدراسة حشراً. انهما كلمتا تثبيت او هما اوتاد ومراس فقط لكي لا تنسحب الدراسة على « شعب » آخر ليس لديه هرم ولا نيل . ومحاولة التثبيت هذه بعيدة عن النجاح ، إذ ان زمن الاوتاد قد ولى ولم يبق الا زمن حقيقة النفس العميقة التي لها علاقة بهذه الاوتاد . وانت تستطيع ان تستبدل «مصر» بسوريا دون ان تتشوه الدراسة إطلاقاً . إنك تستطيع أن تقول وانت واثق من قولك : « سوريا شجرة سامقة تجدد اوراقها كل خريف »

« الشعب السوري صابر »

« الشعب السوري يحب الجمل ويعطف على الحمار لانهما يمثلان الصبر: صبر الصحراء وصبر الريف ، اي الصبر الزراعي »

« الشعب السوري يعشق الحرية » الخ . أليس جميلاً هذا الصب في القوالب ؟ والقوالب هي جميع الدول التي عاشت حياة الشرق وفلسفته ، وسحقها الاستعمار وخدّرتها الخرافة ثم وقفت تتطلع بدهشة واعجاب لمعجزات الحضارة الغربية الحديثة . وإلا فمن هو « الشعب العالم العامل .. الحالم » الذي :

« يجمع بين الواقعية الغليظة وبين المثالية المتعالية المتطرفة »

« يجمع بين الدين والدنيا »

« يجمع بين الارض والسماء »

« يجمع بين الاولى والاخرة » ؟ ؟ ؟ أليس هو العربي في كل مكان وليس في مصر فقط ؟ أليس هو الشعب العربي القلق الحائر امام ضربات الدهشة الحديثة ؟

لقد اخطأك التوفيق يا توفيق . وانت كما ترى لم تدرس الشعب المصري

اروع القصائد

في عدد الشعر القادم

بل حاولت أن تدرس ، مجرد محاولة فحسب ، الشعب العربي في مصر ، تلك الحقيقة التي تعاميت عنها او تناسيتها . ليس هناك « شعب مصري » وآخر سوري وثالث لبناني أو مغربي، بل هناك حقيقة اكيدة واحدة ، هناك شعب عربي واحد ، هناك امة واحدة ، والامة كما يقول الاستاذ انطون مقدسي مجيداً « هي مظهر من مظاهر تجلي الحقيقة ونمط من انماط تحقق الانسانية او قل هي نظرة الى الحقيقة وكل نظرة لها حدودها وبالنتيجة عصبيتها ».ولو انك تركت خرافة الشعب المصري وأدركت « حقيقة » الامة العربية الواحدة ثم عرفت حدودها وتعصبت بايمانك بها لما احتجت في دراستك لها الى اوتاد ضخمة ومراس ثقيلة ولتحديت اي انسان في ان يسحبها على أمة أخرى، لانك اذ ذاك تدرس « حقيقة » . واقرأ معي بعض ما كتبه الاستاذ زكي الارسوزي في دراساته للأمة العربية : « تمثلت الانسانية في الذهن العربي على مثال الحياة »« تدل الكلمة العربية على مصدر اشتقاقها، الحدس ، دلالة الألحان على الالهام في الانشودة » « في منظومة اسرة الكلمات العربية تتجاوب المفهومات العقلية مع المدلولات الحسية » فهل تستطيع انت او غيرك ، استبدال كلمة « عربي » بأي اسم آخر ؟

شاعر من لبنان يمجد لبنان ، وكاتب من مصر يتغنى بميزات شعب خاص في مصر ، وزعيم حزب يصرخ : عاشت سوريا ، ورئيس جمهورية ، بلد عربي شقيق يهتف : سوريا فوق الجميع .

هذا الوتر الممقوت .

إذن فعلينا أن نقدس الاعداء اذ كانوا: « أرهف منا بالحس الاجتماعي فعرفوا قبلنا اننا متمايزون ولكل منا تخطيطاته الخاصة » . فأقاموا بيننا حدوداً تبعث على الغثيان والضحك والحقد لشدة ما بها من اصطناع وجود. وعلينا أن نمجد الساسة الذين يحافظون ببطولة قبيحة على هذه الحدود ، على هذه الشقوق القبيحة في وجهنا .

أيها الشعراء والأدباء والساسة، لاتقطعوا هذا الوتر الممقوت بل احرقوه! أحرقوه لعلكم – وأنتم تحرقونه – تحسون شناعة رائحته الكريهة وتسمعون باشمئزاز أزيزه المحموم المكرر فتحرمون على أنفسكم العودة للعزف عليه ، وتنشدون مع الارسوزي بجلاوة وانطلاق : « ان الامة العربية لم تكن شهاباً قد خطف البصر بسرعته كما خيل للأعاجم بل انها منارة يتموج شفقها تموج الحياة ذاتها » .

حماه — **شريف الراس**

★

تعليق على رد

حين قرأنا رد الاستاذ يوسف الشاروني الجديد على كلمتنا ، وجدنا أن هذا الرد يتركز مرة أخرى على شيء واحد هو الاتهام بتهمة تبني الروحية والدعوة اليها . يا لها من تهمة منكرة في هذا الزمان ! كان يجب أن يجمع لها من الادلة أكثر مما جمع، فلأ اكثر من عمود كامل من المجلة باستشهادات من مقالاتنا . إن في مقالاتنا ما يقدم براهين عليها اشد وأقطع في كلام أقصر وأوجز . بل اننا نسهل عليه هذه المهمة ، وقد سبق أن فعلنا ذلك في تعليقنا الماضي ، فنعلن له مجدداً وتكراراً اعترافنا الكامل بصحتها ، فماذا يريد أكثر من ذلك ؟ ولكن هل هذا ما كان عليه أن يفعل ؟ وهل هذا ما طلبناه منه عندما أحلناه على منشوراتنا ؟ هل طلبنا منه التحقيق فيما اذا كنا ندين بالروحية والدعوة إليها ، وقد أوضحنا هذا الموقف صراحة في التعليق فضلاً عن المقال ، أم أننا طلبنا درس الصورة التي نرى عليها مفهوم الروحية ، وملاحظة ما نتخذه من مبررات لموقفنا منها ؟

لقد دعوناك الى الرجوع الى منشوراتنا لكي تطلع على حقيقة موقفنا بالتفصيل ، وتبين بالبرهان لا الافتراض والتكهن كيف تقوم « العلاقة القوية » بينه وبين الاستعمار ، وانت لم تفعل ببحثك وتنقيبك الا التفتيش عن شواهد الاثبات على هذا الموقف الذي أعلناه بكل صراحة. ألهذا فقط أتعبت نفسك كل هذا التعب ؟..

اما اذا كنت تحب أن تدلل على « منابع تصدر عنها الآراء » ، فهذا ما لم تفعله ، وكان يجب ان تقول ما هي هذه المنابع ، وأن توضح الصلة بينها وبين الآراء بالدليل المنطقي ، فان التلميح المبني على مجرد الافتراض لا يعني شيئاً . والتزامك عدم المناقشة بحجة « ضيق المقام » ليس في محله ، لان هذه المناقشة هي صلب الموضوع والأساس الذي ينبغي أن ترتكز إليه تهمتك ، وكان يكفي أن تناقش رأياً واحداً من الآراء العائدة الى

صدر حديثاً

السابقون

وهو الكتاب الرابع عشر من سلسلة أعلام الحرية التي وضعها الاستاذ قدري قلعجي .

وقد صدر منها حتى الآن :

١ – سعد زغلول : رائد الكفاح الوطني في الشرق العربي
٢ – ابراهيم لنكولن : محرر العبيد وموحد الولايات المتحدة
٣ – مدحت باشا : ابو الدستور العثماني وخالع السلاطين
٤ – روبسبيير : بطل الثورة الفرنسية
٥ – جمال الدين الافغاني : حكيم الشرق
٦ – شوبان : نشيد الحرية والوطنية
٧ – صلاح الدين الايوبي : رجل غيّر وجه التاريخ
٨ – كرمويل : بطل الثورة الانكليزية
٩ – ابو ذرّ الغفاري : اول ثائر في الاسلام
١٠ – ديموستين : بطل اثينا
١١ – غاندي : ابو الهند
١٢ – محمد عبده : بطل الثورة الفكرية في الاسلام
١٣ – سون يات سن : بطل الثورة الصينية
١٤ – السابقون : الكواكبي ، الجزائري ، الزهراوي ، الريحاني ، الفاخوري .

ثمن النسخة ١٥٠ قرشاً — **دار العلم للملايين**

الروحية التي بنيت عليها اتهامك ، بدلاً من الهروب الى موضوع اخر عله يداريك ، ولو أنه لا يداريك كما سترى . لقد قلت في مستهـــل ردك : « أما أنني أتهم فريقاً معيناً بتبني الدعوة الى الروحية فهذا مـا لا شك فيه وقد ذكرته في تعليقي على مقاله . يؤيـــدنا في ذلك السيل الجارف من الافلام الدينية وهذ المؤلفات التي تتحدث عن مخاطبة الارواح في العـــالم الآخر وهذه النشرات والمحاضرات التي تستغل فزع الناس مما يعد لهـا فتعلن لهم قرب نهاية العالم » . وهذا التبات على موقفك شيء طيب وحسن ، ولكن استدلالك لا ينهض إلا على الاشارة المفتقرة الى الربط والتعليل . عـــلى اننا حيال هذا القول بالذات نقف ، وندعو القراء كذلك الى الوقوف ، ففي معناه ما يكفينا مؤونة الاسترسال في الرد والتفنيد . ما هذا الكلام ؟ أهذا ما توحيه لك عبارة الروحية ؟.. مخاطبة أرواح ، واستحضار ارواح وتقمص ارواح الخ ..؟ هل تظن ان الروحية وقف على الاديان ؟ ومن قال لك انها لا تنفصل ابداً عن الدين ؟ لا ، إن الهوة بين ما تتكلم عنه وبينك سحيقة جداً ، ولقـــد كان من الممكن أن تفهم الروحية على أي شكل خاطىء إلا هذا الشكل . ان علاقة الروحية بمفهوم « الروح » المميزة للأحياء ليست إلا علاقة مجازية ، وإن صلتها بالدين ليست إلا صلة نسب جزئي هي الاخلاق العامة ، ففي الأخلاق يجب أن تبحث عن مدلول الروحية . والواقع أنه ليس أتفه من مناقشة رأي يناقض هذه الحقائق الساطعة المجمع عليها والغنية عن الشرح .

أما قولك إننا غالطناك فادعينا بأنك تتحدث عن فريق ينادي بالمادية ، فهو يقوم على التباس جوهري وقعت فيه . فنحن لم ننسب اليك رأياً في مبدأ معين . انما اعتبرنا انك تجول ضمن قالب أي أسلوب خاص من اساليب التفكير . وقد ذكرنا لك قالباً على سبيل المثال بقولنا « فلعله يعتقد بأن المادية تمثل فريقاً سياسياً من دول العالم ، يقابله فريق آخر تبنى الدعوة الى الروحية » ، ثم شئت في ردك ان تؤكد انتسابك فعلاً الى هذا القـــالب بقولك « أما أنني أتهم فريقاً معيناً بتبني الدعوة الى الروحية فهذا ما لاشك فيه وقد ذكرته في تعليقي » . ولكن يبدو أنه قد فاتك أن معنى ما تقول هو ان لا صلة بين موضوع الروحية والاتجاهات السياسية ، لانه موضوع ثقافي بحت ، والروحية ليست سلعة سياسية ، وأن الذي يظن مثل هذا الظن يضع نفسه — مختاراً لا طائعاً — في قالب بالغ الجمود . فنحن لم نغالط ، والشيء الذي قلت إننا اخترعناه لنرد عليه ، لم يكن سوى مجرد افتراض كنا « لا نحب ان نصدقه » ، ولكنك انت الذي اضطررتنا باعترافك الآن الى تصديقه .

والغريب انك قفزت دون مبرر الى تلمس موضوع دفاعي جديـــد ، فلجأت الى التعريض بكفاءة اسلوبنا في البحث ، فقلت : « وجدت الاستاذ وهبي يبدأ دائماً بكلام طيب ثم ينتهي الى حل لفظي في ضباب من ذلك القاموس الميتافيزيقي الذي يستعمله » . والواقع اننا في اغلب الاحوال نبسط في مستهل المقال قضية ما ثم نعرض وجهات النظر الشائعة التي تقوم على سطحية الوهم والتي نرمي الى تبديدها من الاذهان . والى هنا تبقى متمشياً معنا ، حتى إذا عمدنا الى حل المشكل وتقديم نظرنا مع شيء من العمق ، انقطع بك الحبل ، وتراءى لك ذلك « الضباب » ، وأصبحت لا تدري كيف السبيل الى اللحاق بنا ، فتلجأ عندئذ الى اتهامنا بدلاً من ان تتهم نفسك .

محمد وهبي

صدر حديثاً

سارتر والوجودية

دراسة ضافية عن المذهب الوجودي
في آثار سارتر الفلسفية والادبية

بقلم ر. م. البيريس

نقلها عن الفرنسية
الدكتور نسهيل ادريس

يطلب من دار العلم للملايين

لاول مرة في اللغة العربية

مكتبة المعارف في بيروت

تقدم
لقراء اللغة العربية
كتاب

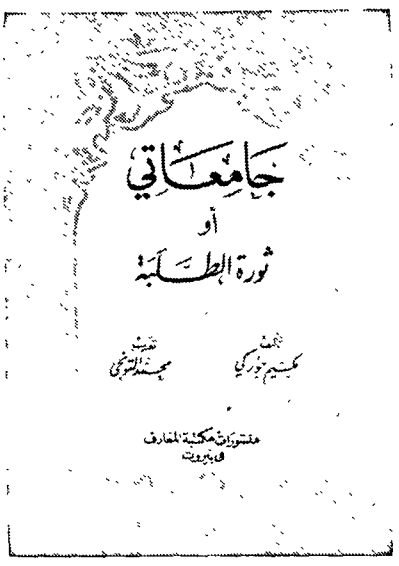

من أعظم ما دبجته يراعة عملاق الادب السوفياتي
مكسيم جوركي
الثمن ١٧٥ ق. ل.